جامعة الوصل
ALWASL UNIVERSITY

أعمال

المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية

بكلية الآداب - جامعة الوصل

اللغة العربية وتكنولوجيا التحول الرقمي: المنجز والواقع والمأمول

16 - 17 نوفمبر 2022

بحوث علمية مُحَكَّمَة

جامعة الوصل
ALWASL UNIVERSITY

جامعة الوصل
AL WASL UNIVERSITY

أعمال

المؤتمر الدوليّ الثاني للغة العربية

بكلية الآداب - جامعة الوصل

اللغة العربية وتكنولوجيا التحول الرقمي: المنجز والواقع والمأمول

16 - 17 نوفمبر 2022 م

بحوث علمية مُحَكَّمَة

تقديم

تسعى كلية الآدب بجامعة الوصل دوما، نحو الجودةِ والتميز، وتحث الخطى لتكون مختبرا لعلوم اللغة وآدابها، ولمناهج البحث العلمي وطرق اكتسابه من مصادره، ولتكون مركزا للإشعاع الثقافي والعلمي، ومنارة له، يعشو الجميع إلى ضوئها، ليقتبس منها ما يضيء به طريق التطور والتقدم والنماء، من فكر حر إنساني متسامح، راسخ الجذور في الثقافة العربية الإسلامية، متطلع إلى التجدد والابتكار والريادة، في بيئة علمية هي بيئة مدينة دبي التي تجتذب ولا تطرد، وتجمع ولا تفرق، تنشر الود والإخاء والاعتراف بالآخر، وبحقه في الاختلاف الذي هو سنة الله في خلقه.

هذه الكلية ركن ركين من أركان جامعة الوصل، أعدته ليكون قاطرة الوصل بين مجد الماضي، وعزة الحاضر، وكبرياء المستقبل، قاطرة محركها لغة القرآن؛ فاللغة في هذا العصر، كما في كل عصر، هي أداة التفكير والإنتاج المعرفي ومكتنزهما، ومولِّدُهما ومستثمرهما، من جهة، وهي من جهة أخرى، قطب رحى هوية الأمة، ومحدد منزلتها في الكون المحيط بها، منها تنطلق نهضة كل أمة، وبها تتحدد فاعليتها وكفاءتها في محيطها وفي العالم.

تعي جامعة الوصل أهمية اللغة وعلومها؛ لذلك تكثف عطاءها في هذا الجانب من جوانب نشاطاتها المتعددة الأوجه:

- تكوين آلاف الخريجين على مستوى البكالوريوس، ومئات الخريجين على مستوى الماجستير والدكتوراه، كلهم ينشرون رسالتها الآن في جميع الأنحاء.
- نشر مئات الرسائل والكتب العلمية، الموزعة بين أيدي الأفراد.
- عقد مئات الندوات العلمية والمحاضرات التثقيفية المستمرة على مدار السنة.
- تنظيم المؤتمرات العلمية الدولية الدورية: مؤتمر الدراسات العليا، مؤتمر الدراسات اللسانية والسردية، المؤتمر الدولي للغة العربية، الذي يعقد كل سنتين، والذي تقدم هذه الكلمة حصيلة دورته الثانية التي جرت وقائعها على مدى إحدى عشرة جلسة علمية، يومي 16و2022/11/17، تعاقب خلالها على المنصة خمسون باحثا من

أقطار عربية متعددة، قدم كل منهم عصارة تفكيره، وخلاصة بحثه وتنقيبه، وثمرة تجربته وخبرته التي نماها على مدى عقود من الجد والاجتهاد. وتخللت هذه الجلسات شهاداتٌ وتجاربُ لشخصيات علمية مشهود لها بعمق الخبرة، وثراء التجربة وغنى العطاء.

تناولت الأوراق البحثية الخمس والأربعون المعروضة في الجلسات:

- علاقة اللغة العربية بتحديات مجتمع المعرفة، وبالذكاء الاصطناعي.
- أهمية اللسانيات التطبيقية في حوسبتها ورقمنتها.
- دور كل من المكتبات والمعاجم الإلكترونية والترجمة الآلية.
- صناعة المعجم الرقمي لغير الناطقين بالعربية.
- أهمية المنصات والمدونات الرقمية، في النهوض بهذه اللغة وبمجتمعها، وما تسهم به البرامج والتطبيقات الإلكترونية في تسهيل تعلمها وتعليمها في دولة الإمارات.، وفي غيرها...

وخرج المؤتمرون بعدد من التوصيات التي تصب كلها في طرق الاستفادة من الذكاء الاصطناعي في تطوير المعارف والمهارات الداعمة لتنمية هذه اللغة:

- تصميم التطبيقات اللغوية متعددة التخصصات: اللسانيات التربية، البرمجيات.
- الإفادة من المنصات والبرمجيات مفتوحة المصدر وتطبيقها في مصادر المعلومة.
- اعتماد البرامج الإلكترونية لتحليل المستويات اللغوية.
- توظيف ما يُنتج للأطفال من مواد أدبية وتعليميّة عبر المنصات الرقمية باللغة العربية، في المناهج التعليمية المدرسية.
- إنشاء منصات للأدب الرقمي تكون فضاء للكتابة والنشر والترجمة والتواصل.
- بناء قواعد البيانات الداعمة للنهوض بهذه اللغة.

- تنظيم مؤتمرات وورشات عمل تهتم بتطوير المناهج المتعلقة بدراسة اللغة.
- تكثيف الدورات التدريبية في مجال الحاسوبيات والبرمجيات.
- تدعيم المحتوى العربي على الشبكة العالمية.

وواضح من القضايا، المعروضة في هذه المدونة البحثية، والقضايا التي أثيرت أثناء جلسات المؤتمر وضمن التوصيات التي اختتم بها، أنها كلها مساءلات لمستقبل البحث في هذه اللغة وفي مجتمعها، وسعي لتطوير أدوات هذا البحث، واستشراف لإمكانات مستقبله، في ضوء ثورة المعلومة وفتوحات الذكاء الاصطناعي.

هذه عينة من عطاء هذه المؤسسة الرائدة، التي يغترف من معينها آلاف الطلبة والباحثين منذ أكثر من ثلاثة عقود من الزمن، وما زال عطاؤها في تزايد، وسيبقى بحول الله، وبسخاء القائمين عليها، الذين ينشرون العلم والخير بغير حساب.

أ. د. محمد عبد الحي

الرئيس التنفيذي للمؤتمر

فهرس الموضوعات

م	اسم الباحث	عنوان البحث	الصفحة
1	د. فاطمة المومني	أثر استخدام الوسائل التكنولوجية في تدريس اللغة العربية	9
2	أ. د. الريدي عبد الحفيظ عبد الرحمن حمدان	الأدب الرقمي .. إبداع بأدوات العصر ((مقاربات في المفهوم والآفاق والأدبية))	27
3	د. محمد العنوز	الأدب الرقمي بين الإنتاج والتلقي	59
4	د. لبنى المفتاحي	الأدب الرقمي: المفهوم والاشكالية والتطبيق	79
5	أ. د. عبد الله العشي	الأدب الرقمي، الهوية السائلة وإعادة تبيئة الكتابة	105
6	د. إيمان عصام	الأدب العربي بين الحتمية الشفاهية والرقمنة العصرية	125
7	د. يوسف بن سالم	الازدواجية اللغوية في الأنظمة السمعية البصرية	153
8	د. درقاوي كلتوم	استثمار مفاهيم الأدب الرقمي في تعليمية الأدب والنصوص	179
9	أ. د. هدى صلاح رشيد	استعمال المنصات الإلكترونية في تعليم اللغة العربية ونشرها حول العالم	191
10	د. علي بولعلام	الترجمة الآلية الأساس الهندسي - اللساني	207
11	أ. هاجر عيادة الكبيسي	التطبيقات المجانية وشبه المجانية في نظام أندرويد لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها - دراسة تقييمية	235
12	جابر عبد الحسين الخلصان النعيمي	تعليم اللغة العربية في الواقع الرقمي فرص وتحديات	261
13	أ. سنوسي محبوبة	تعليمية اللغة العربية بالجامعة الجزائرية عبر منصات التعليم الإلكتروني	305
14	أ. د. يوسف خلف العيساوي	تقريب العربية في مدونة الفتاوى اللغوية لمجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية	331

15	د. بدر بن سالم بن جميل السناني	توظيف الصورة البصرية في صناعة المعجم لغير الناطقين بالعربية، الحقول الدلالية نموذجا	359
16	لحسن بوشال	توظيف الصورة السينمائية في بناء القصة الرقمية عند محمد سناجلة قصة "صقيع" أنموذجا	389
17	أ. صابرينه بوقفة	جمالية وحركية الصور في المنجز السردي الرقمي - قراءة في رواية شات	409
18	د. هيثم زينهم أ. د. لعبيدي بوعبدالله	حوسبة الدلالات الحقيقية والمجازية نحو بناء تطبيق ميثالساني محوسب	427
19	سليم زويش	الذّكاء الاصطناعي؛ برامج وتطبيقات في خدمة اللغة العربية	467
20	أ. جازية مغاري	الذكاء الاصطناعي وتمثّلاته في المبحث الصوتي الفونيمات التطريزية - أنموذجا	493
21	د. آمنة بلعلى	سؤال الأدب الرقمي ورهان التنظير والإجراء	519
22	أ. هند العنيكري	صناعة المعاجم الإلكترونية للناطقين بغيرها	537
23	د. خميسي ثلجاوي	اللّغة العربيّة وسلطة الخطاب الافتراضي قراءة في ضوء البلاغة الرّقميّة	559
24	مهرهرة مليكة	معجم Visual Bilingual Dictionary - arabic english - أنموذجا	581
25	د. عبد اللّاوي سومية	المكتبات الإلكترونية العربية - عرض وتقييم -	613
26	د. عيشة كعباش أ. د. زكية منزل غرابة	المكتبات الرقمية ودورها في إمداد الباحثين بمصادر البحث العلمي في مجال اللغة العربية دراسة ميدانية	635
27	د. أحمد الصادق بوغنبو	منهاج اللغة العربية في ضوء الذكاء الاصطناعي: رؤية في مكونات التطوير ومقترحات التنزيل	655

الأدب الرقمي،
الهوية السائلة وإعادة تبيئة الكتابة

أ. د. عبد الله العشي
جامعة باتنة – الجزائر

ملخص

موضوع هذه الورقة هو الأدب الرقمي، ويتناول بعض المسائل الأساسية في هذه الظاهرة الكتابية الجديدة بالدراسة والتحليل والنقد والتعليق، تحدثت في البداية عن تحولات التكنولوجية وعلاقتها بالثقافة وبالإنسان، وكيف صارت التكنولوجيا بديلا مهيمنا على الإنسان تنطق باسمه وتفكر بدلا عنه، ثم كيف تفرعت ظاهرة الأدب الرقمي عن هذه التكنولوجيا وصارت تنافس أشكال الكتابة الأدبية السابقة، وعقب ذلك تحدثت عن هوية الأدب الرقمي وهي هوية مرتبطة بما هو تكنولوجي وتسعى إلى إعادة النظر جذريا في هوية الأدب القائمة أصلا على اللغة، وناقشت مدى استيعاب السياقات العربية الثقافية والاجتماعية لهذا التحول الكبير، في وقت ما تزال فيه البيئات العربية في مرحلة ما قبل التكنولوجيات الفائقة، وتساءلت عن السر وراء كون الجدل قائما بخصوص هذه الكتابة في الآداب والإنسانيات دون العلوم التقنية، ونظرا لتجربة الثقافة العربية كان لابد من الوقوف على طبيعة العلاقة بينها وبين الحداثة وحاولت أن أتبين ما أسميناه بأخطاء الحداثات العربية المتكررة التي تقع فيها دائما، وقفت بعدها على التحولات الأساسية في الأدب الرقمي حول الكاتب والقارئ والنص والمعنى وبينت كيف أصبح هذا الأدب كيانا يستحق أن يصنف في بيئة أخرى غير الأدب أو على الأقل خارج الأجناس الأدبية المعروفة على غرار ما تم بشان الرواية والمسرحية حيث تمت تبيئتهما بوصفهما جنسين أدبيين مستقلين، وأنهيت الحديث عن مصير الأدب الرقمي كما يراه نقاده في الثقافة الغربية.

الكلمات المفتاحية: الأدب الرقمي، الأدب المعاصر، الحداثة، الوسيط الرقمي، الهوية الأدبية.

Abstract

The topic of this paper is about digital literature addressing some of its fundamental matters in this new writting phenomenon, through studying, analysing, criticising and commenting. At the beginning, I spoke about the technological transformations and their relashionship to culture and human, and how did technology over lordmanship by speaking and thinking in his place, then how the phenomenon of digital literature branched off from this technology and competed with previous forms of writing. After that, I talked about the identity of digital literature, which is linked to what is technological and seeks to radically reconsider the identity of literature, which is originally based on language. I also discussed the extent to which the Arab culture and social contexts have accommodated this major transformation, at a time when Arab environments are still in a pre-high-tech stage. Then I wondred about the reason behind the controversy surrounding this writing in the Arts and Humanities rather than the technical sciences. Given the experience of Arab culture, it was necessary to know the nature of the relation ship between it and modernity by clarifying what we called the recurring mistakes, then I studied the major transformations around the writer, the reader, the text and the meaning in digital literature. I then showed how this literature became an entity that deserves to be classified in a field other than literature, or at least outside the well-known literature genres, such as novels and theatricals which are considered two different literature genres. I concluded my paper on the becoming of digital literature as seen by it scritics in the western

Keywords: digital literature degital medium modernity. Contemporary literature, letirary identity

مسارات التكنولوجيا الحديثة

تتطور حياة الإنسان بما يخترعه من وسائط وأدوات لحل مشكلاته، واختراعاته لا تتوقف، لأن حاجاته لا تتوقف، ومشكلاته لا تنتهي، وقد عرفت علاقة الإنسان بهذه الوسائط المسماة لاحقا بالتكنولوجيا ثلاثة مسارات مثلت ما يمكن تسميته بالمتخيل التكنولوجي[1].

المسار الأول، التكنولوجيا بوصفها أداة حيادية يوظفها الإنسان بإرادته في الأهداف التي يحددها، ويمكنه أن يتوقف عن توظيفها في الوقت الذي يرغب فيه، حين لا يجد حاجة إلى توظيفها، دون أن تشكل عبئا عليه، وهي لا تترك غالبا أي أثر عليه، لأنها، في هذه الحالة، جزء من أدواته المختلفة التي يستعملها.

المسار الثاني، التكنولوجيا بوصفها شريكا، وفي هذه الحالة فأن التكنولوجيا ليست مجرد أداة تستعمل ثم يستغنى عنها، بل هي وسيط يشارك الإنسان التفكير والتدبير والتقرير، وبالتالي، فهي، بهذه الصفة، تدخل في صراع مع التقاليد الثقافية للإنسان، وتحاول أن تجد لها موقعا أكثر أهمية، غير أن الصراع ينتهي، هنا، لصالح الثقافة والإنسان.

المسار الثالث، وهو ما آل إليه الوضع الحضاري، في معظمه، الآن، وهو التكنولوجيا بوصفها بديلا، بديلا للثقافة والإنسان وعالم الواقع، وهنا تصبح التكنولوجيا هي الحقيقة، حيث يتم تأليهها في وضع تهيمن عليه الآلة هيمنة مطلقة. ثمة حدث حاسم إذن وهو «التحول من التكنولوجيا كوسيلة إلى كونها غاية في حد ذاتها»[2] في هذه الحالة يتم تجاوز الموجهات الأساسية التي كانت وراء حركة الإنسان والفكر والتاريخ، ويتم تحييد كل القيم والمعاني الكبرى التي كانت تحكم حياة الناس والمجتمعات، ويصبح المعيار الوحيد لأي فعل هو مدى ما يصل إليه العلم من اكتشاف بغض النظر عن إنسانيته وأخلاقيته هكذا «غير التسارع التقني... كوكبنا ومجتمعاتنا وغيرنا نحن أيضا، لكنه أخفق في تغيير فهمنا لتلك الأشياء لأسباب معقدة، وكذلك الإجابات لاسيما أننا متورطون في شرك نظم تقنية تشكل بدورها الطريقة التي نتصرف ونفكر بها ومن ثم فنحن عاجزون عن التخلص منها أو التفكير من دونها»[3].

1- ماتشادو داسيلفا وف. كاسالينيو [1]: تكنولوجيا المتخيل ومتخيَّل التكنولوجيا/ترجمة: محمد أسليم – ميدوزا (midouza.net)

2- سوزان قرينفليد، تغيير العقل، كيف تترك التقنيات الرقمية بصماتها على أدمغتنا، ترجمها إيهاب عبد الرحيم علي، المجلس الوكني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2007: 32.

3- جيمس برايدل عصر مظلم جديد، التقنية والمعرفة ونهاية المستقبل، ترجمة مجدي عبد المجيد خاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2022: 10، 11

وفي مثل هذا الوضع، بدأت التساؤلات الجوهرية الكبيرة تطرح عن مصير الإنسان والواقع والثقافة والمجتمع والتاريخ، وعن مآلات الأخلاق والقيم، وعن الصيرورات الغامضة، وعن المستقبل المجهول المخيف للإنسان، الإنسان معتاد على عالم يكرر نفسه من غير مفاجآت ولا صدمات، ويكرر نمط حياته وتفكيره وعلاقته بالكون دون توتر أو ارتباك، يعرف الإنسان عالمه ويعيشه رغم كل تحولاته، ويقبله بكل ما فيه من تراجيديا. لكن الانقلاب التكنولوجي الجذري سيصنع عالما آخر افتراضيا يدخله في فضاء الغرابة والمجهول والغموض والحيرة والقلق والأسئلة الوجودية المعقدة، وما يترتب عن ذلك من تحولات نفسية وعقلية وجسدية، «لقد أصبح لدينا إحساس، ونحن ننغمس في الافتراضي، أننا فقدنا شيئا ما أكثر إنسانية وأكثر صدقا»[1] و بسب هذا تساءل بعضهم: «هل العالم الافتراضي في طريقه إلى التحول إلى واقع أم أن الواقع هو الذي يسير نحو التلاشي؟»[2]، والجواب في كلتا الحالتين مخيف، لأن الواقع آيل في النهاية إلى التلاشي. والتلاشي، في هذه الحال، هو تلاشي الإنسان نفسه.

هوية الأدب الرقمي

في هذا السياق الانقلابي الكبير، تظهر فكرة الأدب الرقمي، بوصفه انقلابا آخر على مستوى الكتابة، وقد رأى كاتبوه ومنظروه أن هذه التجربة ضرورة تاريخية حتمية، فرضتها التحولات التي طرأت على العلم والثقافة ووسائل التواصل والتداخل بين الفنون والمعارف، وهو التجربة التي ستنقل الكتابة من الشكل الورقي البسيط الذي لا يقوى على مرافقة العصر بتعقيداته المختلفة، إلى نوع من الكتابة الشاملة التي بإمكانها أن تحيط بما يدور في العقل المعاصر وفي الحياة المتحولة الجديدة، حيث تترافق وسائط متعددة لصناعة نص رقمي، لم تكن اللغة وحدها قادرة على فعل ذلك. التكنولوجيا البديل التي تحدثت عنها آنفا هي صاحبة الأمر والنهي، وهي التي ستوجه هذه التجربة حسب تصورات جديدة. كان الكاتب سابقا ينتج أدبه في لحظات التأمل والتفكير في الذات وفي ما حولها، لا يحتاج إلا إلى لغته يصنع بها متخيلاته الفائقة، وأنساقه الفكرية المتعددة، ويحيط بها بكل مشكلات الإنسان والطبيعة والمجتمع، لم يعد الأمر الآن كذلك، لقد أصبح الكاتب الآن ضمن وسائط كثيرة جاهزة تستعملها التكنولوجيا، وأصبحت اللغة مجرد وسيط واحد من

1- الزا غودار،أنا أوسيلفي إذن أنا موجود، تحولات الأنا في العصر الافتراضي، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الوطني للكتاب، الدار البيضاء بيروت، 2015: 189

2- تكنولوجيا المتخيل ومتخيل التكنولوجيا، المرجع السابق، المعطيات نفسها

الوسائط الكثيرة، لم تعد اللغة هي المتحدث الرسمي بلسان الكاتب بل مجموع الوسائط التكنولوجية الكثيرة. كان طبيعيا أن يستغني الأدب الرقمي عن اللغة بوصفها كينونة إنسانية لصيقة بهوية الإنسان، ما دامت التكنولوجيا قد استغنت، أو كادت، عن الإنسان، لأن اللغة في جوهرها هي هوية الإنسان.

إذا كانت هذه التجربة في الكتابة الأدبية تتأسس على مفهوم يتعلق بتطور التكنولوجيا، وليس على مفهوم يتعلق بتطور الإنسان، فإن كل منظومتها الفلسفية والأداتية والتحليلية، وكل مشرعها النقدي والنظري، سيستمد من التكنولوجيا بدل أن يستمد من اللغة ومن الإنسان، مما يعني تحولا جوهريا في مفهوم الكاتب والكتاب والكتابة والنص والقارئ والمعنى والخيال والمجاز والغرض والحقيقة والقصد وغيرها مما كان يحدد هوية النص القديم. هذا لكون «الرقمي لا يختزل في تقنية بسيطة، لأنه ينقل أيضا التمثيلات الأكثر تعقيدا وفقا للقطاع المعني ولأنه مغمور بالمؤثرات وحتى بالحماسة، كما أنه يشكل رمزا للآمال في بعض الأحيان ومصدرا للمخاوف أحيانا أخرى»[1].

وهنا يطرح هنا السؤال عما إذا كانت السياقات العربية الثقافية والاجتماعية والعلمية قادرة على تفهم هذا التحول، وقابلة للتعامل والتفاعل معه؟ وهل الظواهر الثقافية تأتي محصلة لتحولات اجتماعية وثقافية وتعبر عنها، أم تسبقها وتبشر بها؟ طرح هذا السؤال سابقا، ولكن الإجابات حوله لم تكن حاسمة، لأننا نفتقر إلى توصيف دقيق لمفهوم التحول، ومتى يكون تحول ما ذا فاعلية في إحداث تغير ما في واقع ما. كما أننا نفتقر إلى فهم دقيق لمفهوم الضرورة، فمتى يكون أمر ما ضروريا ومتى لا يكون، ربما يعود الأمر إلى غياب الوعي التاريخي والثقافة التاريخية في فكرنا وثقافتنا ما جعلنا لا ندرك تماما كيف نجيب عن مثل هذه الأسئلة. الإجابات في هذه القضايا التي هي محل جدال، غالبا ما لا تحكمها منطقية علمية بل كثيرا ما تكون أسيرة المصالح والإيديولوجيات، كما هو الحال في سائر قضايا الثقافة العربية. وعليه، فلا نتوقع إجابة حاسمة، ولنعتبر الأمر نسبيا.

وهكذا بقيت هذه التجربة موزعة بين لا ونعم، بين قبول ورفض، وكلاهما لا يقدم ما يكفي من الحجج لهذا أو ذاك، خاصة تلك التي تقدم مواقف حدية بين القبول المطلق والرفض المطلق، خاصة في سياق العلوم الإنسانية، وهذا ما يجعلها قضية معلقة تنتظر أن تجد لها موقعا دائما.

1- ريمي ريفيل. الثورة الرقمية، ثورة ثقافية؟، ترجمة سعيد بلحوت، مراجعة الزواوي بغورة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت، 2018: 27

لماذا تطرح الإشكالية في الآداب والإنسانيات أكثر من المعارف الأخرى؟

غير أن هناك ملاحظة ينبغي أن نشير إليها وتتعلق بكون الإشكال الحاد بخصوص الرقمية مطروحا في مجال الآداب والإنسانيات أكثر مما هو مطروح في مجالات المعرفة الأخرى، فرغم أن الرقمية مسألة تقنية، ولكنها في مجال الآداب والإنسانيات تطرح بوصفها مسألة ثقافية ذات صلة عميقة بالمكونات الأساسية للإنسان، وقد سبق أن أشرنا إلى أن المسار التكنولوجي في مرحلته الثالثة هو مسار يسعى إلى إلغاء الثقافة والتقاليد الثقافية لتصبح التكنولوجيا هي البديل عن الثقافة، وبالتالي تصبح هي الموجه الوحيد لمسارات الثقافة، وتتلاشى الثقافة بوصفها مجموعة المعاني الفكرية والروحية والأخلاقية والاجتماعية، ثم لأن هذه الرقمية تمس مباشرة ما هو جوهري في الإنسان بوصفه قيمة عليا ذات كرامة وقدسية، وتهدد مباشرة المنظومة الفكرية والوجدانية واللغوية للإنسان، مما يعني أنها تهدد مصير الإنسان والإنساني. فنظرا للصلة الكبرى بين الثقافة والإنسان كان لا بد أن تقع هذه المواجهة بين الإنسانيات والرقمية، «لأن ما يشكل إنسانيتنا هو بالضبط الوعي والأفكار والإبداع والأحلام»[1] وتلك هي الأراضي الخصبة للإنسانيات. أما الرقمية في المجالات المعرفية الأخرى فهي إما أنها ما تزال وسيطا خاضعا للإنسان، يوجهها دون أن تهدد وجوده، وإما أن مجال نشاطها يقع خارج الإنسان، أي في الطبيعة والمادة، فلا تتناقض، بالتالي، مع هويته. مما يعني أن المشكلة ليست عداوة مجانية بين الإنسان والرقمية، إذ لو كانت كذلك لكان نفس الموقف أيضا في المعارف الأخرى، بل المشكلة أن الإنسان يدافع عن هويته حين يشعر بأن خطرا ما يهددها. فالإنسان مستعد دائما للدفاع عن كينونته حين يستشعر ضرورة لذلك. فالرقمية في ذاتها كنظرية علمية تكاد تكون ظاهرة حيادية لأنها نتاج مسار علمي تطوري طويل، غير أن التوظيفات المختلة أحيانا تحولها عن مسارها وحياديتها، وتتعسف في استعمالها في مجالات لا تقبلها أو تكرهها عليها وهو ما يطرح الكثير من الأسئلة ويرفع الكثير من الصرخات. وفي الثقافة العربية كثيرا ما تدافع الظواهر الحداثية عن نفسها ليس بحجج موضوعية بل بمحاولة الحط من الظواهر السابقة وكأن حياة الجديد لا تقوم إلا بإنهاء القديم.

1- مارك دوغان وكريستوفر لابي، الانسان العاري، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الوطني للكتاب، الدار البيضاء ت بيروت، 2020: 119

وقد سعى بعض الباحثين إلى التخفيف من حدة التناقض بين الرقمية والإنسانيات، يقول الباحث الكندي اوليفيي دينس: إن فكرة الإنسان الآلة «ستكون في الواقع ازدياد (كذا) في الشدة أكثر من كونها محو (كذا) للكائن الحي والعلم التقني المعاصر» ويضيف: «يصنع الإنسان عقلانيته وجسمانيته من نوع جديد تتكيف معنا وتضاف إلينا وفي النهاية تتيح لنا الوصول إلى إنسانيتنا»[1] ربما يكون هذا صحيحا حين يمتزج الإنساني والآلي في رؤية متوازنة يكون الإنسان هو المبدأ والغاية.

أخطاء الحداثات العربية

غالبا ما تدفع الحداثة والتجديد الكتاب، وتلهب حماستهم، وتوقعهم في خطأ الحدية الذي لا يرى سوى هذا الشكل الجديد، يكتب أحد رواد الأدب الرقمي مدافعا عن تجربته، قائلا: (هل تستطيع الرواية بشكلها الحالي أن تستوعب الثورة الرقمية المتسارعة، أم أنها يجب أن تتخلى عن مكانتها لصالح أشكال تعبيرية وإبداعية أكثر قدرة وإبداعية وجاذبية كالسينما أو البرمجة مثلا) [2] ويقول أيضا: (هل الروائي بشكله وأدواته الحالية قادر على المضي في مغامرة الرواية في ظل العصر الرقمي الآخذ بالتشكل)[3].

مثل هذا الحديث يؤكد أن الحداثات العربية تقع دائما في نفس الأخطاء، إنها تكرر باستمرار خطابها وتعيد منهجيتها وإستراتيجيتها في التفكير والتقدير، تعتقد أنه من أجل التمكين لتجربة ما جديدة ينبغي أن تزعزع مكانة القديم بالتشكيك في صلاحيته وقابليته للحياة دون تفسير لذلك، هكذا حدث مع الحداثة الأدبيةالأولى أعني شعر التفعيلة، التي اعتقد أصحابها أنه من أجل إثبات شعرية هذه التجربة وضرورتها وكونها قصيدة العصر واللحظة، لا بد من اتهام القديم بما ليس فيه، وقد تم استغلال منظومة كبيرة من المصطلحات للنيل من القصيدة القديمة والتي تبين بعد ذلك أنها مصطلحات وأحكام باطلة في كثير منها، وقد بين التاريخ ذلك، فواصلت القصيدة القديمة مسارها واستمرت في إبداعية دائمة، وكان بدل الدخول في خصومة بين القديم والحديثة أن يكون هناك تعايش سلمي وهو أمر ممكن جدا وطبيعي. وحدث ذلك أيضا مع الحداثة الثانية، مع قصيدة النثر، فبدل أن تذهب هذه التجربة إلى إقناع المتلقين بها ذهبت تنتقص من قصيدة التفعيلة والقصيدة العمودية وتعتبرهما حدثا في حكم الماضي، وها هو الأدب الرقمي الآن

1- فيليب ريجو، ما بعد الافتراضي، ترجمة عزت عامر، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2009: 49

2- محمد سناجلة، رواية الواقعية الرقمية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت عمان، 2009: 15

3- نفسه

يكرر نفس الأخطاء دون أن يعمل الفكر في إنتاج خطاب حول ذاته يكون مقنعا وقادرا على التوصيف، عل الرغم من استثناءات لا تقع في نفس الأخطاء، ولكن تكرار الأخطاء دليل على الانصياع لإيديولوجيا قاصرة عن التوصيف والتحليل. ثم ما هي المعطيات الواقعية التي استند عليها مثل هذا التشكيك؟ هل وصلت الرواية العربية حاليا إلى درجة من الضعف لا يساعدها على الاستمرار حقا؟ وكيف يمكن إن نفسر هذا الانتشار الكبير للرواية حتى صارت، كما يتداول، ديوان العرب، وحتى صارت محل اهتمام الجميع من نقاد ومؤرخين وإعلاميين وسياسيين وعلماء اجتماع وعلماء نفس وأنتربولوجيين وسواهم؟ أليس القول بوصولها إلى طريق مسدود نوعا من الاعتباطية التي لا تستند إلى حجة موضوعية وعلمية؟ ثم ما معنى التعبير عن العصر من خلال عمل أدبي معين؟ كيف نعرف أن عملا أدبيا ما استطاع أن يعبر عن العصر وعملا أخر لم يستطع؟ ما هي المقاييس التي نعتمدها لنؤكد ذلك أو ننفيه؟ ثم هل يعتقد هؤلاء أن هذه التجارب الأدبية الرقمية عبرت فعلا عن العصر؟ وهل التعبير عن العصر يكون بالفكرة والرؤية والموقف أم بالشكل والأداة؟ أسئلة كثيرة يمكن أن نطرحها لنشكك بدورنا في مثل هذه الأحكام الانطباعية غير المؤسسة والتي لا تقوم على بينة علمية وموضوعية.

وهكذا، وبدل أن تنصرف التجارب الحداثية العربية إلى ذاتها لتبني خطابا من داخلها ومن سياقاتها الخاصة، تتجه خارج ذاتها وتبحث عن تمركز عنيف في فضاء آخر، ولا تكتفي بذلك، بل تسعى إلى احتلال مساحة خاصة بتجربة أخرى، تجربة كاملة مستقرة منسجمة مع ذاتها ومع التاريخ، لها هويتها وحياتها الخاصة، ولها علاقاتها مع تجارب أخرى مجاورة أو بعيدة عنها، إن بطء الحداثات العربية في تحرير موقع لها في الثقافة العربية يعود في جزء كبير منه إلى هذه الخصومات التي تفتعلها مع التجارب السابقة، فتقضي وقتا في حروب وهمية هامشية وخاطئة ولا ضرورة لها. إن الحداثات العربية، لكونها حداثات ليست أصيلة بل مشاريع مستعارة، لا تحسن صياغة إشكالياتها، ولا تحديد مساراتها، ولا فهم سياقاتها، ولا إقامة علاقات مع الماضي ولا الحاضر، ولا تفرق بين أصدقائها وأعدائها، ولا تعرف كيف تحدد قضاياها ولا منهجها، لذلك خلقت كثيرا من العداوات وعاشت كلها حالات من الارتباك والاضطراب

الأدب الرقمي: الهوية السائلة

تتحدد هوية الأدب عبر تاريخه الطويل من خلال اللغة، باعتبارها الوسيط الوحيد الذي تتجلى الأدبية عبره، لغة وبلاغة وإيقاعا وفكرة ودلالة. والثورات الأدبية تكون، أول ما تكون، داخل اللغة وباللغة، ورغم التحولات الكثيرة التي طرأت على الظاهرة الأدبية إلا أن كل هذه التحولات لم تمس هذا المكون الجوهري، بل إن التطورات الأدبية عبر العصور، كانت تعرف من خلال اللغة، فبين الكلاسيكية والرومانسية فارق لغوي، وبين الرومانسية والرمزية فارق لغوي أيضا وهكذا.. فالانتقال من مدرسة أدبية إلى أخرى لا يتم إلا من خلال تلك التغيرات التي تلحق الخيال والصورة وبناء العبارة والرمز، ومجمل النسق اللغوي بمفرداته المتعددة. وهكذا بقيت هوية الأدب هوية لغوية بلاغية، وأصبحت اللغة الأدبية هي اللغة التي ينشئها الأديب داخل اللغة لا خارجها. أضيفت إلى اللغة في مراحل معينة بعض الأشكال والرسوم ولكنها ظلت بمثابة القيمة المضافة أو الزينة التي ترافق اللغة ولا تزاحمها أو تنافسها، لم يهتم النقاد كثيرا بهذه الظاهرة فانسحبت تاركة للغة مكانها ومكانتها. لم يتم التشكيك في اللغة ولا في هوية الأدب، ولم يتم التفكير في مكونات أدبية أخرى غير اللغة إلا مع الأدب الرقمي الذي استدعى مكونات أخرى، وهكذا لم تعد اللغة هي المكون الوحيد بل مكونا ضمن مكونات أخرى غريبة عنها مستمدة من عوالم بعيدة، وهكذا فإن الأدب الرقمي، الآن، يقوم على مكونات تتعلق بالصوت والحركة والشكل واللون، وتأتي اللغة ضمن هذه المكونات بنسبة أقل ودون اهتمام كبير. أقول دون اهتمام كبير لأن كل المصطلحات التي يوظفها هذا الأدب مستمدة من عالم الحاسوب مثل الشاشة والحوسبة والوسيط والبرمجة والرابط والتدفق والضوء والتشفير والخوارزمية والصوت والصورة والحركة والجهاز والأداة والتوليد والتشعب وغيرها في الوقت الذي كانت اللغة هي المعطى الذي يعرف الأدب ويحدد هويته كان كل شيء واضحا، المؤلف والنص والقارئ والمعنى والقصد، كان كل شيء منطقيا قائما على بداية ونهاية، كان المعنى مشتركا وممكنا بين القراء، وكان القارئ معروفا وأدوات القراءة مألوفة، هذا رغم تعقد الظاهرة الأدبية وغموضها، ولكنه تعقد وغموض في مستوى الثقافة المتداولة، أما مع الأدب الرقمي فقد تمت إعادة النظر في كل تلك العناصر التي كنا نعدها واضحة، وتم العبث بكل التعريفات والتعيينات، وأعيد تعريف كل شيء، بل أعيد بناء هوية هذه العناصر والمكونات؛ فلم يعد الكاتب هو ما نعرفه، ولا النص ولا القارئ ولا القراءة ولا المعنى، فالكاتب في النص التشعبي صار كائنا آخر غير واضح المهام، هو كمن يرمي كرة في الهواء ثم يترك للآخرين حرية التلاعب بها، ولا

يدري إلى أين ينتهي بها الأمر، يصبح واحدا من مجموعة تتناوب على بناء النص وتنميته، بحيث يصبح مرة كاتبا ومرة قارئا ومرة لا كاتبا ولا قارئا، ما دام يقترح نصا ثم يوصي الآخرين من خلال فراغات ومساحات بيضاء أن يكملوه، (تجربة حمزة قريرة مثلا)، بهذه الكيفية يصبح الكاتب بلا هوية وبلا مسؤولية بل وبلا رؤية ولا قصد، وهي المعاني الكلاسيكية التي تحدد هوية الكاتب، الكاتب الرقمي رهن وجوده لكينونة سائلة وهوية لا تكتمل، إنها أفق مفتوح ويظل دائما في حالة انفتاح، وليس من الضروري أن ينغلق. والقارئ الذي يقترحه الأدب الرقمي ليس مجرد قارئ يقلب الأوراق ويسجل تعليقاته على هوامش الكتاب بل هو قارئ مكلف بإنجاز مهام أخرى، مهام أن يتناول العصا من يد الكاتب الأول ويواصل السير، كما يفعل المتسابقون في سباق التتابع. وهكذا يفعل قراء آخرون، كل ينخرط في مسار الكتابة عبر تقنيات يحددها سلفا الكاتب الأصلي. لقد دفعت الرقمية بالقارئ إلى أن يصبح كاتبا وبالكاتب أن يصبح قارئا، ومن خلال هذا الجدل بين الكاتب والقارئ والقارئ والكاتب يتكون ما يمكن أن يسمى نصا وما هو بنص، فاللغة هي التي كانت تحدد النص، وبظهور وسائط أخرى و نشاطها القوى على الشاشة، لم يعد هناك نص بل مركب مبرمج مكون من مكونات متعددة تنشط في تعالق بينها وتتصادى لتكمل بعضها، من أجل معنى أكثر تعقيدا، وأمام هذا التعقيد، و أمام هذه الوسائط المتعددة، وأمام انحسار اللغة، كيف يمكن أن تتم عملية القراءة قديما كانت القراءة هي عملية تفكك من خلالها شيفرة اللغة من أجل الوصول إلى دلالتها، كان الوعي يركز على الكلمات ويتتبعها مفردة في دلالتها وفي علاقاتها بغيرها من المفردات، وبإحالاتها الخارجية والداخلية لمعرفة المعنى، والآن، كيف يمكن أن تقرأ اللغة والصوت والحركة واللون والشكل، لا بد من منهجية جديدة لا تملك القراءة حاليا إمكانية لذلك، هذا إضافة على بينة النص الرقمي غير المنطقية، فهو نص في مقاطع لا تتتابع بالضرورة ولا تنتهي جميعا إلى نهاية محددة، (الضحية الأولى للتخلي عن السرد التقليدي هي الحبكة نفسها. فبعد قراءة الرواية التشعبية، يخرج القارئ بالطبع بفكرة عن موضوع قراءته، ولكنه يعجز عن رواية القصة. أولا، لأنه لم يقرأ سوى مقاطع منها. ثم لأنه قرأها في ترتيب غير منطقي أحيانا، وأخيرا لأن في النص العديد من القصص أو ربما ليس هناك قصة أصلا. في السرد التقليدي، لا تتبع الوحدات السردية دائما خيط القصة، ولكن يُفترضُ التصرف الذي يأمله المؤلف من القارئ أن يساهم في بناء الحبكة. يعطي الحامل الورقي لتنظيم الحكاية طبيعة ثابتة، وبالتالي جوهرية. يستطيع المؤلف أن يُنظِّمَ آثار المفاجأة، وأن يخلق تشويقا، وأن يغير آفاق روايته. وفي سائر الأحوال، يكونُ هو

المالك الوحيد لزمام سيره وطريقه. أما في النص التشعبي، فيكون القارئ بمثابة مركبة فضائية أطلقتْ في الكون)[1].

فتجربة الأدب الرقمي لم تصنع لنفسها منهجية نقدية لمقاربة نصوصها، والمشروع النقدي السابق عنها، بمختلف منهجياته، ليس مؤهلا لمرافقة هذه التجربة نقديا نظرا للاختلاف الجذري بين الظاهرتين الأدبيتين القديمة والجديدة. وهذا ما يهدد هذه التجربة ويجعلها معرضة للسيولة والميوعة.

أمام هذا النص، إن سميناه نصا، سيكون من العبث أن نبحث عن معنى، كان المعنى سابقا كامنا في النص اللغوي فقط، يكشف عنه بالنص أو بعض متعلقات النص: الكاتب والسياق ونحو ذلك، والآن، مع تعدد الوسائط (بل مع لا نهائية الوسائط، لأن الرقمية لا حد لمخترعاتها، فغدا يمكن أن تضاف وسائط جديدة غير هذا الوسائط) كيف نقيم العلاقة بين معنى النص اللغوي ومعنى الحركة ومعنى الصوت ومعنى الشكل ومعنى اللون، وكيف ننتهي إلى معنى واحد، ما هي الإستراتيجية التي يمكنها أن تجمع الدلالات المختلفة من هذه الوسائط وتركبها في معنى واحد؟

بسبب هذا التعقيد صعب تحديد هوية للأدب الرقمي، فهو من جهة يضع قدما في عالم اللغة بحكم اعتماده على النص اللغوي، ومن جهة أخرى يضع قدما في عالم السينما بحكم الأفلام القصيرة المرافقة للنص اللغوي، ويضع قدما أخرى في عالم الموسيقى بحكم المقاطع الموسيقية المصاحبة، إضافة إلى عالم التشكيل من خلال اللوحات المرفقة، نحن إذن أمام مركب غير متجانس، في حاجة إلى ثقافة بينية خاصة والسؤال المطروح هنا هو لماذا تمت تبيئة هذه الكتابة داخل الأدب وليس داخل السينما أو الموسيقى أو الرسم؟

محاولة لتبيئة أخرى للظاهرة

لا شك في أن النص اللغوي في الأدب الرقمي هو ما يمنع من تحول النص إلى نص تكنولوجي كامل، وهو ما جعل هذه التجربة تنتسب إلى الأدب دون سواه، لكن ما الذي منح هذا النص اللغوي الحق في إرفاق المكونات الأخرى بالأدب وهي ليست منه؟ فإما أن تلك المكونات مجرد حلية إضافية ليس لها القدرة على تحديد هوية أخرى لهذه التجربة، وإما أن هناك إقحاما للظاهرة في مجال ليس مجالها. ثم أيهما أفضل لهذه الظاهرة الإبداعية

1- جان كليمون Jean Clément: هل النص التشعبي التخييلي نوع أدبي جديد؟/ترجمة محمد أسليم – ميدوزا (midouza.net)

وللثقافة العربية أن تكون جزءا من الأدب أم أن تكون ظاهرة مستقلة بذاتها في مجال معرفي خاص؟

ماذا لو أن هذه التجربة الإبداعية تشكلت وتأسست بوصفها تجربة مستقلة تماما عن الأدب تحت اسم ما يبتكره أصحابها غير الأدب الرقمي؟ أو ماذا لو أنها تأسست داخل الأب ولكن دون أن تنافس أي جنس من أجناسه، كأن لا تكون ضمن الرواية أو ضمن الشعر، أما كان ذلك أجدى وأجدر بها؟ أما كان ذلك يحميها على الأقل من الخصومات التي قامت بشأنها من قبل المناصرين للرواية والشعر الورقيين؟ أما كان ذلك يوفر لها هويتها الخاصة بعيدا عن هوية الرواية أو الشعر؟

لا أدري لماذا لم تتموقع هذه التجربة الكتابية في مجال السينما بالنظر إلى مكونها السينمائي أو إلى الموسيقى بالنظر إلى مكونها الموسيقي، بل لماذا لم تتأسس بوصفها معرفة مستقلة دون أن تكون في حاجة إلى معرفة تحتضنها، فخصوصيتها وهويتها تؤهلانها لذلك.

لقد تم زرع هذه التجربة في غير مكانها، كما تم زرع الشعر النثري في غير مكانه، كان يمكن أن تتم تبيئة هذا التجربة على غرار ما تم بشأن الرواية والمسرحية في الأدب العربي، فالروية و كذا المسرحية حين دخولهما إلى الأدب العربي لم تنافسا المقامة مثلا، ولم تأتيا لتشغلا مكانا مشغولا سلفا، بل جاءتا واتخذتا مكانين لهما لم يكن يشغلهما نوع أدبي سابق، ولذلك لم تدخلا في صراع مع أي نوع كما دخلت القصيدة الحرة وقصيدة النثر، وسارتا تطوران خطاباتهما بكثير من الاستقرار والسلام، فلو أن النقد العربي استطاع أن يجد لقصيدة النثر خاصة موقعا خاصا بها غير موقع الشعر الذي فرضت عليه قسرا لتطورت هذه التجربة دون معارك والجروح ما تزال إلى اليوم. لا هي خدمت قصيدة النثر ولا ساهمت في سواها سبب الجدل القائم الآن حول الكتابة الرقمية متأت من هذه التبيئة التي لا تبدو موفقة، فلو أدرجت في غير دائرة الرواية والشعر لما ثارت ثائرة الشعراء والروائيين وأنصارهم، ولتأسست كتجربة خاصة وتطور خطابها النظري والإجرائي. ولكن إلي أين ينتهي الأمر بهذه التجربة؟

الرهان على الرقمي

بالعودة إلى محمد سناجلة الذي يراهن في كتاباته على الأدب الرقمي بديلا، نجده يقول: (هل الروائي بأدواته الحالية المستهلكة قادر عل أن يبقى روائيا؟)[1]، وعلى فرض أن الرواية قد وصلت إلي الحال التي يصفها، فليس من الضروري أن يكون البديل المستقبلي هو الرواية الرقمية، القادرة في نظره على التعبير عن عصر فائق التكنولوجية، ورغم التحاجج بالتكنولوجية والعصر الرقمي فإن الكتاب الرقميين لا يستعملون من التكنولوجيا إلا أبسط وسائلها وهي المتاحة تقريبا لكل الناس، ولن تكون بحال من الأحوال دليلا عن الانخراط في العصر الرقمي الذي هو أبعد بكثير من تلك الوسائل البدائية بالنظر إلى عالم التكنولوجيا المعقد. إنه نفس الرهان الهش الذي رفعته الحداثات الأدبية العربية مع قصيدة التفعيلة وقصيدة النثر، وكان رهانا خاسرا، بالنظر إلى استمرار القديم وتجدده المستمر وبقاء الجديد مسايرا باعتباره مجرد نص آخر، وقد يكون جيدا، دون أن يكون بديلا ولا وحيدا، فالجديد حين لا يكون في موقعه، في مكانه وزمانه، وضمن الشروط التي توفر له الحياة، لا يمكن أن يحقق ما يتوقع منه، والانبهار وحده ليس كافيا لإعطاء المصداقية لأية ظاهرة. فهمنا للجديد وتوظيفه وإغراقه بالأيديولوجية يعطل، حتما، القيام بمشروع الحداثة أو استثمار الحداثات المستعارة.

ما تزال ظاهرة الأدب الرقمي تجاهد من أجل التموقع داخل الأدب، غير أنها لا تملك من الإمكانيات النظرية ولا العملية ولا المواهب التي تمكنها من ذلك، خاصة وأن أغلب الأدباء والنقاد لا يلتفتون إليها ولا يعتبرونها لا واقعا أدبيا ولا بديلا، والتحجج بالتكنولوجيا والتحولات الحاصلة بفعل التطور العلمي والتكنولوجي لتمرير الظاهرة ليس كافيا ولا مبررا، فالتطور التكنولوجي مقبول في سياقه ولكن الاحتماء به للترويج لغيره غير مقبول.

الأدب الرقمي ما يزال في طور التجربة، يصارع من أجل أن يوضح هويته وحقيقته ويقنع المتلقين بأهليته ومصداقيته وأهميته في فضاء من التجارب الكبرى ذات التاريخ الطويل، ولا يمكن أن يقدم نفسه الآن إلا كتجربة فقط، ولن يضمن بقاءه واستمراره بالنظر إلى أنه يقوم على تكنولوجيا متحولة باستمرار، قد تتغير بنيته وقد تتغير مكوناته ووسائطه في كل لحظة، فالرهان على معطى متغير رهان خاسر، وهو بهذا مهدد من داخله بفعل هذه التطورات السريعة والفائقة، يكتب أحد المختصين قائلا: (إن مستقبل هذا الجنس

1- سناجلة، المرجع السابق: 115

الجديد غير مؤكد، فما يزال ينتمي إلى الأدب التجريبي، وجمهوره محدود، وكتابه جامعيون في معظم الأحيان، وباعتباره نوعا أدبيا فهو مهدد من لدن الإمكانيات التي يتيحها حامله نفسه)[1]. هذا رأي مختص متواضع، لا يبالغ ولا يراهن على تجربة قيد الاختبار، رأي مختص من داخل الثقافة التي ولدت فيها هذه التجربة، حيث الإمكانيات العلمية، والخبرات النقدية، والكفاءات المنهجية، وحيث الإرث النظري الضخم في الآداب والإنسانيات والعلوم، فما بالك بسياق عربي هش ورخو، ما تزال التكنولوجيا فيه في بداياتها، وما تزال البنية الذهنية للإنسان العربي قائمة على ما قبل التكنولوجيا، وما يزال الفكر العربي لم يؤسس بعد لنفسه رؤية معرفية يفسر من خلالها العالم، ولم يستوعب، بما يكفي، هذه التجارب الجديدة التي يدافع عنها دفاعا خاليا من العلمية والموضوعية. ثم إن تراكم المحاولات والتجارب الرقمية، وهي قليلة، لا تؤكد أن هذا الأدب يمتلك من القبول ما يؤهله لأن يكسب قراء ونقادا ومتلقين على مستوى واسع، إن ما كتب من نصوص في الرواية والشعر قد يكون أقل بكثير من الكتابات النقدية التي حاولت أن ترافقه بالتوصيف والتحليل، هذا إذا غضضنا الطرف عن أهمية تلك الكتابات التي تكاد تكون نسخا مكرورة لا تقدم معرفة كافية وعميقة بهذه التجربة.

ماذا لو غيرت الحواسب والبرمجيات، وهذا مؤكد، أنظمتها ومعجم مصطلحاتها التي أوردنا جانبا منها سابقا، ما الذي سيبقى لنصف به هذا التجربة. إن التجارب الأدبية والإنسانية تسير في حركة متباطئة لأنها تقضي زمنا في الوعي والذاكرة والعمق الروحي للإنسان، بينما التطورات العلمية تسير بسرعة فائقة، فلا تكاد تستقر الظاهرة الأدبية على حال حتى تكون التحولات التكنولوجية قد سبقتها وخلفتها وراءها بمسافات كبيرة، مما يعني أن لا مجال لاكتمال تجربة الأدب الرقمي مع هذه الحركية الفائقة.

1- جان كليمون، هل النص التشعبي نوع أدبي جديد؟ نرجمة محمد أسليم، موقع ميدوزا على الشبكة

الخاتمة

ندرك أن هذه التجربة ليست محل إجماع بين الباحثين في الأدب وفي الإنسانيات، فهي بين متحمس لها ومعارض ومشكك في جدواها، وكل يقدم رؤيته وحجيته، ونحن قدمنا رؤيتنا المدعمة بمبررات من الثقافة الأوروبية نفسها ومن السياق الثقافي العربي ومن التحليل المنطقي؛ فمن جهة، ثمة نقود كثيرة في الثقافة الأوروبية ترى أن هذه التجربة ما تزال محاولة تبحث عن ذاتها وتسعى أن تشكل هويتها في سياق من الارتياب العام في جدواها، ومن جهة أخرى لا نعتقد أن السياق العربي يستدعي بالضرورة هذا النوع من الكتابة التي تتطلب متغيرات جوهرية في الإنسان والتاريخ والثقافة لم تحدث في واقعنا بعد، ومن جهة ثالثة إذا كان لابد من قبول هذه التجربة من باب الحق في الوجود فالأجدر بها أن تؤسس لها موقعا خارج الأدب وتشكل نمطا معرفيا وفنيا مستقلا.

أشرنا سابقا ونؤكد هنا أن إشكالية هذا التجربة تأتي من اعتبارها الشكل او الوسيط الرقمي هو ما عليه الرهان، رغم أنه مكون تابع للآلة وليس للإنسان، وهو مكون فاقد لحميمية اللغة، ودفء المشاعر، وحرارة الخيال، وتناقضات العاطفة، وثراء المجاز، وعمق الذاكرة، إن الرهان على المكون الآلي يمس المناطق الحميمية في الإنسان وخاصة في الثقافة العربية ذات الخلفية الروحية العميقة، وخاصة ما تعلق منها باللغة، ومنها إلى مكونات حميمية أخرى كالخيال ومنه إلى وعي الزمان والمكان، ثم إلى ما يتعلق بالطبيعة البشرية التي تهيأ لمصير مخيف بل ومرعب أحيانا.

لا نملك، حاليا، تصورا واضحا لمآلات الأدب الرقمي ولا لمآلات الرقمية، ولا ندري هل سيظل هذا الأدب كما هو أم سيتحول إلى أشكال أخرى، وأغلب الظن أنه سيبدل أشكاله باستمرار لأنه مرتبط بظاهرة دائمة التحول والتغير، فالوسائط لا حد لها ولا نهاية لتحييناتها، هل سيبقى على ذلك المكون اللغوي أم سيتم الاستغناء عنه وتعويضه بوسائط جديدة، وحينها سنسأل ما ذا بقي من الأدبي في الأدب الرقمي؟

ثمة فقرة فائقة الدقة والعمق استهل بها روس داوثت كتابه: المجتمع المنحط، وهي تعبر عن المفارقة بين حاجتنا الماسة إلى التكنولوجيا وخوفنا من نتئجها، يقول: «كل شئ في هذا الكتاب (لا أكاد استثني) جيد وسيئ في الوقت نفسه، كل مسألة تعرض للنفكير هنا تصبح سيفا ذا حدين، فالتقدم العلمي مثلا إما مجد على المدى البعيد، وإما ابتكار عبثي مجرد، الركود إما حافز مؤقت لاشتراع التجديد وإما نهاية بائسة، .. كل ظاهرة أو حدث

أو انتقال أو تطلع أو ابتكار أو دعوة أو رغبة، كل شيء باختصار يقع بين حدين: إما. وإما فكل فكرة تحمل نقيضها في الحد الأدنى، ما لم يتزامن تحولها إلى مشروع ما مع الوعي بها وبآثارها القريبة منا حتى نعالجها أو البعيدة عنا فنمهد معالجتها أمام أحفادنا»[1]، هكذا يمكن النظر إلى قضايا أخرى: الحداثة، العولمة، الديموقراطية، وغيرها، وكأن هناك من يقوم بالالتفاف عليها ويغير مضمونها وأهدافها ومساراتها الأولى التي تم بناؤها حين ظهورها. إذا كان هذا هو موقف الإنسان الغربي أمام ما انتجته ثقافته، فكيف سيكون حاله أمام ثقافة يستهلك بعضها ولا يعلم كثيرا عن محتوياتها وفلسفتها وغاياتها الكبرى، وتلك هي المشكلة ؟؟

1- روس داوثت، المجتمع المنحط، كيف صرنا ضحايا نجاحاتنا، ترجمة أنس محجوب وعبد المنعم المحجوب، دار صفحة 7، السعودسة، 2021: 7

المراجع

- برايدل، جيمس، عصر مظلم جديد، التقنية والمعرفة ونهاية المستقبل، ترجمة مجدي عبد المجيد خاصر، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2022.

- بريدوني، ري، ما بعد الإنساني، ترجمة حنان عبد المحسن مظفر، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2021.

- جور، آل، المستقبل، ستة محركات للتغيير العالمي، ج1، ترجمة، عدنان جرجس، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2015.

- داوثت، روس، المجتمع المنحط، كيف صرنا ضحايا نجاحاتنا، ترجمة أنس محجوب وعبد المنعم المحجوب، دار صفحة 7، المملكة العربية السعودية، ط1، 2021.

- دوغان، مارك ولابي، كريستوف، الإنسان العاري، الدكتاتورية الخفية للرقمية، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الوطني للكتاب، الدار البيضاء بيروت، 2020.

- ريجو، فيليب، ما بعد الافتراضي، استكشاف اجتماعي عن الثقافة الرقمية، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2009.

- ريفيل، ريمي، الثورة الرقمية ثورة ثقافية؟ ترجمة سعيد بلمبخوت، مراجعة الزواوي بغورة، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2018.

- سناجلة، محمد، رواية الواقعية الرقمية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت عمان، 2005.

- غرينفيلد، سوزان، تغيير العقل، كيف تترك التقنيات الرقمية بصمات على أدمغتنا، ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2017.

- غودار، إلزا، أنا أوسيلفي إذن أنا موجود، تحولات الأنا في العصر الافتراضي، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الوطني للكتاب، الدار البيضاء بيروت، 2019.

- موقع ميدوزا (midouza.net)

شركاؤنا الإستراتيجيون

شارع زعبيل – دبي – الإمارات العربية المتحدة
هاتف : 97143961777+، فاكس : 97143961314+، ص . ب : 50106
البريد الإلكتروني : info@alwasl.ac.ae
موقع الجامعة : www.alwasl.ac.ae